وسط المصلين · وعندما بدأ المصلون باداء الصلاة ، شهد المسجد للمرة الاولى في تاريخه، منظرا غريبا يندر ان يجود التاريخ بمثله ، منظرا فرضته عملية السجود والركوع : قسم من الموجودين داخل المسجد يركع ويسجد ، وقسم آخر (رجال الامن اليهود) يقف هنا وهناك بدون حراك باستثناء النظرات ، ولم يكن هذا القسم قليل العدد ، الامر الذي خلق كما ذكرت الصحف الاسرائيلية تذمرا بين صفوف المصلين من « المبالغة » في الاحتياطات الامنية ·

وجاءت الصدمة الثالثة في آخر جملة من خطبة عيد الاضحى ·ومن الجدير بالذكر ان السلطات الاسرائيلية ، امتنعت وفق ما ذكرته الصحف الاسرائيلية عن التدخل في موضوع الخطبة عندما طلب حسن كامل مدير مكتب الرئيس السادات الذي وصل الى اسرائيل قبل وصول الرئيس السادات بيوم ، منها التدخل في هذا الموضوع ، فما كان من حسن كامل الا ان توجه الى خطيب المسجد وطالبه بـ « احترام الحدث ، ومباركة الرئيس السادات ، والتحدث باعتدال وحذر » ·

قرأ خطبة العيد الشيخ عكرمة صبري ، وبعد ان تحدث عن المعاني الروحية الكامنة في العيد ، تطرق الى الجانب السياسي وقال « ايها المسلمون في ارجاء المعمورة ، ان زيارة الرئيس السادات اتاحت لنا التحدث اليكم عبر الاثير وعبر محطات الاقمار الصناعية وعبر شاشات التلفزيون ، لنسمعكم صوت الاقصى **الحزون** ، صوت الشعب الفلسطيني **المنكوب** ، ولتشاهدوا آثار الحريق المشؤوم الذي اصاب هذا المسجد المبارك على ايدي اعداء الاسلام عام ١٩٦٩ ، واصبح مذبر البطل صلاح الدين اثرا بعد عين » ·

ومضى الشيخ عكرمة قائلا « ··· ونذكر الرؤساء بان **فلسطين عامة والقدس خاصة** امانة في اعناقهم ، كما هي امانة في اعناقنا ، امانة الاجيال تلو الاجيال ··· »

واختتم الشيخ الخطبة بالقول « اللهم هيء من يوحد المسلمين ، ويحذو حذو صلاح الدين » ·

وربما كان اثّر هذه الصدمة اخف وقعا على السادات ، لانها في الحقيقة ليست موجهة اليه وحده ·

بيد ان السادات صحا بعد ذلك على نغمة تفرحه وتفرح الكثيرين في هذا الشرق العربي ، فقد حدث بعد انتهاء القاء الخطبة ان اخذ البعض ممن في المسجد يهتفون «بالدم بالروح نفديك يا سادات » حدث ذلك في الداخل ، أما في الخارج فقد كان الوضع مختلفا تماما · فقد ذكرت الصحف الاسرائيلية ان الشباب العرب اخذوا يتجمهرون خارج المسجد بالقرب من الطوق الامني المفروض حول المسجد ، ويهتفون لفلسطين ويندون بالسادات ، واوردت قصة طريفة بطلتها مذيعة التلفزيون المصري همت مصطفى التي سبق لها ان تغنت كثيرا بنضال « الصامدين » في الارض المحتلة · تقدمت المذيعة المحترمة الى مجموعة من الشباب العرب لتسجيل حديث تلفزيوني فتقدم شاب وتحدث على مسمع من جنود الاحتلال وقدم تحليلا للزيارة من منطلق وطني شاجبا صاحبها ، فما كان من المذيعة المحتشمة الا ان اندفعت ، نحو الشاب الفلسطيني واخذت تدفعه بكلتا يديها ، الامر الذي دفع قوات الاحتلال للتدخل وتهدئة روح المذيعة ، وافادت الصحف الاسرائيلية ان الرئيس السادات لم يشاهد هذا « المنظر » الذي حدث بالقرب من المسجد الاقصى ·